جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
عبد الرشيد عبيد

يوم: ...

مفهوم سيكولوجية الجماهير في فكر غوستاف لوبون

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2023 – 2024

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة وأرجو ان ينال رضاه.

أتوجه بالشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف **"فتح الله كشكار"** على طيب المعاملة طيلة سنوات المسار الجامعي وما قدمه لي من توجيهات خلال فترة الإشراف إضافة إلى حرصه على التهميش والتوثيق الصحيحين

.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى من قال فيهم الحق تعالى: **(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء 24**

إلى **أمي** و**أبي** أطال الله في عمرهما.
إلى الروح الطاهرة جدي **"مبارك عبيد"** رحمه الله وطيب ثراه وأسكنه الفردوس الأعلى.
وإلى إخوتي **إسماعيل خليل نور الدين وهاب، ونبيلة.**

إلى الزملاء والإخوة الذين شاركوني مشواري الجامعي: **عقبة شرماط، بوبكر هاني، إكرام عتروس.**
إلى أصدقائي **نعيم زايدي، عمارة بشيري، جلال غربي، أحمد مستوري.**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	/
إهداء	/
مقدمة	ا- ب
الفصل الأول: مفهوم الجماعة عند لوبون	20-7
المبحث الأول: مفهوم علم النفس الجماهيري	10-7
مطلب الأول: ماهية علم النفس الاجتماعي	9-7
مطلب الثاني: إكتشاف ظاهرة الجماهير	11-10
المبحث الثاني: طبيعة روح الجماهير عند لوبون	20-13
مطلب الأول: نظرية لوبون في نفسية الجماهير	14-13
مطلب الثاني: خصائص الجماهير النفسية	16-15
مطلب الثالث: عواطف الجماهير واخلاقها عند لوبون	20-17
الفصل الثاني: التكوين العقلي للجماهير	32-22
المبحث الاول: تشكل أفكار وآراء للجماهير	27-24
مطلب الأول: أفكار الجماهير	24
مطلب الثاني: المحاجات العقلية للجماهير	25
مطلب الثالث: خيال الجماهير	27-26
المبحث الثاني: عوامل تشكل عقائد وأراء الجماهير	32-29
مطلب الأول: العوامل الغير مباشرة	30-29
مطلب الثاني: العوامل المباشرة	32-31
الفصل الثالث: محركوا الجماهير وتصنيفاتها	48-34
المبحث الأول: محركوا الجماهير وأساليب الإقناع	42-36
مطلب الأول: محركو الجماهير عند لوبون	37-36
مطلب الثاني: الوسائل التي يستخدمها القادة	40-38
مطلب الثالث: الهيبة الشخصية	42-41
المبحث الثاني: فئات الجماهير	48-44
مطلب الأول: تصنيفات الجماهير عند لوبون	45-44
مطلب الثاني: الجماهير المدعوة بالمجرمة	46
مطلب الثالث: الجماهير الانتخابية	48-47
خاتمة	51-50
قائمة المصادر والمراجع	54-53
الملخص	/

مقدمة

مقدمة:

للجماهير تأثير عميق على العواطف والسلوكيات البشرية، وهذا ما يثبته التاريخ البشري منذ القدم، بدءا من الاحتفالات والطقوس والشعائر الدينية في صورها البدائية وصولا إلى المظاهرات والاحتجاجات في صورتها السياسية التي تظهر قدرة الجماهير على إدارة وتشكيل الآراء والقناعات والسلوكيات.

ومن المفكرين الذين درسوا ظاهرة الجماهير نجد المفكر والمؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي (**غوستاف لوبون Gustave Le Bon**)، الذي خصص لهذا الموضوع كتاب تحت عنوان **"سيكولوجية الجماهير"** Psychologie des Foulesوهو الكتاب الذي جاء على هيئة نظرية علمية متكاملة ومتماسكة، تسلط الظوء على مفهوم العقل الجمعي وتدرس سلوك الأفراد في المجموعات، إذ شكل نجاحاً منقطع النظير على صعيد دراسات علم النفس الجماهيري، وهو ما سوف نتطرق إليه في بحثنا هذا تحت عنوان مفهوم سيكولوجية الجماهير في فكر غوستاف لوبون.

وللوقوف على أهم النقاط التي عالج فيها لوبون ظاهرة الجماهير، نطرح الاشكال التالي: كيف فسر لوبون الظاهرة النفسية للجماهير؟

وهذا الإشكال يتفرع إلى جملة من التساؤلات، أهمها:

ماهي العوامل التي تشكل آراء الجماهير؟

كيف تتخلق الجماهير؟

ماهي أدوات تحريك الجماهير؟

ما الوسائل التي يستخدمها القادة لترويض الجماهير؟

كيف صنف لوبون الجماهير؟

المنهج:

وأخذا بطبيعة الموضوع ومراعاة لمقتضياته إرتأينا الاعتماد على المنهج التحليلي من خلال جمع أفكار غوستاف لوبون إزاء سيكولوجية الجماهير وتفكيكها وتحليلها ومحاولة تفسيرها وتوضيحها.

أسباب إختيار الموضوع:

والحقيقة أن إختيارنا للموضوع كان نتيجة أسباب منها أهميته من الناحية السياسية حيث تظهر قدرة الجماهير على إدارة وتشكيل الآراء والقناعات والسلوكيات، والرغبة في الاطلاع على تفسير ظاهرة الجماهير، والنتائج التي تفرزها على مستوى الفرد وعن الكيفية التي تدار بها الجماعات.

أهمية موضوع:

ترجع أهمية موضوع سيكولوجية الجماهير في التفسير والتحليل الذي جاء به المفكر وعالم الاجتماع غوستاف لوبون الذي يرى أن الجماهير صارت تمثل قوة وسلطة في يد من يوجهها ويتحكم فيها، ولأنَ العالم تقلصت فيه المسافات والفروقات الثقافية والاجتماعية بفضل تطور تكنولوجيا الاتصالات، فصار من

السـهل تحريـك وتوجيـه الجمـاهير حسـب الحاجـة والطلـب، وعليـه صـار لزامـا التطـرق لهذا الموضوع.

خطة البحث:

ولتقـديم مـوجزاً حـول موضـوع البحـث، تبـدوا الخطـة التاليـة كفيلـة بدراسـته والإجابـة عـن التسـاؤلات المطروحـة فـي إشـكالية الدراسـة، أيـن تـم تقسـيم البحـث إلـى ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة.

الفصـل الاول كـان عنوانـه " **مفهـوم الجماعـة عنـد لوبـون** "، حاولنـا فيـه التركيـز علـى ماهيـة علـم الـنفس الاجتمـاعي ونظريـة لوبـون حـول الجمـاهير مـن ثـم تطرقنـا إلـى روح الجماهير وخصائصها النفسية واخلاقها عند لوبون

وفـي **الفصـل الثـاني** تطرقنـا إلـى " **التكـوين العقلـي للجمـاهير** " ويـندرج تحتـه مبحثـين بعنـوان تشـكل أفكـار وآراء الجمـاهير حيـث نـدرس فيـه أفكـار الجمـاهير ومحاجاتهـا العقليـة وخيالهـا، أمـا المبحـث الثـاني فنـدرس عوامـل تشـكل عقائـد وأراء الجماهير ويقسمها لوبون إلى عوامل مباشرة وغير مباشرة.

أمـا فـي **الفصـل الثالـث** المعنـون ب " **محركـوا الجمـاهير وتصـنيفاتها** "، قسـمناه الـى مبحثـين، الأول يـدرس محركـوا الجمـاهير وأسـاليب الإقنـاع والوسـائل التـي يسـتخدمها القـادة لتـرويض الشـعوب، والثـاني بعنـوان فئـات الجمـاهير، ويـدرس بعـض تصنيفات الجماهير.

الصعوبات:

أمـا عـن الصـعوبات فهـي بمثابـة تحـديات للباحـث لمواصـلة إنجـاز بحثـه، ومـن التحـديات التـي واجهتنـي أثنـاء انجـاز هـذا البحـث صـعوبة تحديـد أفكـاره الرئيسـية بسـبب قلـة المراجـع التـي تـتكلم حـول هـذا الموضـوع ونـدرتها، وهـذا مـا تسـبب فـي إعتمـادي المبـالغ فيـه علـى كتـاب سـيكولوجية الجمـاهير لغوسـتاف لوبـون، كـذلك صـعوبة ضـبط المفـاهيم والمصـطلحات ضـبطا دقيقـا لكونهـا تنتمـي الـى حقلـي علـم الـنفس والاجتمـاع وتتداخل مع الفلسفة.

الفصل الأول:
مفهوم الجماعة عند لوبون

إن المعارف والعلوم التي توصل إليها الإنسان تهدف في جوهرها لتطويع الطبيعة لتخدم الإنسان، ودراسة الفرد بصفته كائن معقد ومركب قابل للدراسة، ومن هذه العلوم علم النفس وعلم الاجتماع.

ويعرف الفرد على أنه "النوع الذي هو كلي يقال على عدد غير محدد من الأفراد... والفرد في اصطلاح الفلاسفة كل موضوع فكري معين مقيد بقيد التشخص تؤلف أجزاؤه كلا واحدا ولكنها لا تسمى باسم الكل... والفرد في علم الاجتماع وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع...فهي آحاد حقيقة يتألف منها الجسم الاجتماعي"[1] الذي يشمل مجموعة من الأفراد لهم نفس الأهداف والاهتمامات والقيم والمعايير، فللجماعة دور كبير في توفير الدعم الاجتماعي والعاطفي لأعضائها، حيث تعمل على تشجيع تبادل الخبرات و المعارف من خلال الاتصال الدائم بين أعضائها، فالتعاون والتفاعل بين أفراد الجماعة يساهم في تحقيق التماسك الذي يسمح بتحقيق أهدافهم وتعزيز قدراتهم ومهاراتهم.

وتمثل الجماعة أحد الركائز الأساسية التي تدخل في تكوين المجتمعات، فهي تتشكل من وحدات جزئية تسمى فرد؛ الذي يقوم بمجموعة من السلوكيات والأفعال ويتفاعل مع بقية الأفراد داخل الجماعة الواحدة ومع الجماعات الأخرى.

تختلف الجماعات وتتعدد حسب طبيعتها وأهدافها مما يجعلها عنصرا حيويا هاما في تكوين الهوية الاجتماعية والثقافية، كما تسمح الجماعة بتحفيز أعضائها وتوجيههم نحو تحقيق النجاح والتطور مما يجعلها قوة دافعة نحو الأفضل.

كذلك تشير الجماعة إلى عدد من الأشخاص يتفاعلون مع بعضهم البعض في المواقف الإجتماعية، حيث يلتقي فيه كل فرد من الأفراد إنطباعا أو دورا مميزا عن فرد أخر[2].

وقيل أيضا أن الجماعة تشير إلى مجموعة مكونة من شخصين أو أكثر أو طائفة من الناس يشتركون معا في سمات وصفات مشتركة، يتميز أفراد الجماعة بوحدة القيم والمعايير التي تحدد سلوكهم وموقع كل فرد داخل الجماعة[1].

---

[1] جميل صليبا: "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت، 1982، ص138.

[2] معتز السيد عبد الله، عبد اللطيف خليفة: علم النفس الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ،2001، ص 56.

يستنتج مما سبق أن الجماعة هي جماعة وظيفية، أي أنها عبارة عن مجموعة أشخاص تجمعهم علاقات وتفاعل اجتماعي تتحدد في ضوء أهداف الجماعة المشتركة التي لا تتحقق إلا بوجود أدوار تتداخل بعضها مع بعض وبوجود معايير للجماعة[2].

[1] الجبالي حسني: علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003، ص155.

[2] ليلى خليل داود، أحمد عبد العزيز الأصفر: الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، سورية، 2004، ص 19.

_ المبحث أول / مفهوم علم النفس الجماهيري

المطلب الاول/ ماهية علم النفس الاجتماعي

المطلب الثاني/ اكتشاف ظاهرة الجماهير

المبحث أول / علم النفس الاجتماعي ونظرية لوبون:

المطلب الأول / ماهية علم النفس الاجتماعي:

1_ تعريف علم النفس الاجتماعي:

تعددت تعريفات علم النفس الاجتماعي وتنوعت مضامينها بتنوع وجهات النظر المختلفة، وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه التعريفات:

يعرف فؤاد البهى السيد (1915-1980) "علم النفس الاجتماعي بأنه العلم الذي يهتم بدراسة وبحث كل مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعي للفرد اي انه علم السلوك الفرد في الجماعة والمجتمع. وهو كما تدل تسميته عليه يبحث في الميدان المشترك بين علمي النفس والاجتماع. ويعرف انه العلم الذي يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد مع الأفراد الآخرين واستجابته لهم سواء اكان هؤلاء الأفراد مجتمعين او المتفرقين"[1].

أما عادل عز الدين الأشول فيعرفه بأنه "أحد فروع علم النفس الذي يدرس السلوك في حقيقته الاجتماعية"[2].

ويقدم مصطفى صالح الأزرق في كتابه "علم النفس الاجتماعي اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية" وهو من أهم المراجع فيه مجال علم النفس الاجتماعي جملة من التعريفات منها:

- هو العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي الذي تشكله المواقف الاجتماعية مع الغير.
- هو دراسة سلوك الفرد في إطار اجتماعي يتفاعل فيه مع الغير.
- هو العلم الذي يتناول دراسة سلوك الإنسان في جماعة.
- هو الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه في علاقته بالمواقف الاجتماعية.
- هو الدراسة العلمية لسلوك الإنسان في المجتمع.

---

[1] فؤاد البهى السيد، سعد عبد الرحمان: علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، مدينة النصر القاهرة، 1999، ص14.

[2] سليمان عبد الواحد إبراهيم: علم النفس الاجتماعي ومتطلبات الحياة المعاصرة، الوراق للنشر والتوزيع، ط 1, عمان، 2014, ص16.

- هو العلم الذي يدرس الطريقة التي يتأثر بها سلوك وشعور وتفكير الفرد بسلوك أو خصائص الآخرين.

- هو العلم الذي يختص بسلوك الفرد في نطاق أي جماعة ينتمي إليها على أسس تجريبية[1].

2 - موضوعات علم النفس الاجتماعي:

يعالج علم النفس الاجتماعي الكثير من الموضوعات والقضايا، منها: طبيعة العلاقات بين الأفراد ضمن جماعة معيّنة، وتوزيع الأدوار بين أعضاء المجموعة وإعطاء المهام للأشخاص المناسبين لطبيعة المهمة، بالإضافة إلى آليّة عمليّة اتخاذ القرار والقيادة والزعامة وما يترتب عليها، دراسة السلوكيات السوية والشاذة للجماعة ككل أو الأفراد ضمن جماعة معيّنة و دراسة الاتجاهات والقيم ومدى فاعليتها وتأثيرها في السلوك الإنساني، تحليل وقياس آراء واتجاهات وميول الرأي العام والدراية بالعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً، بالإضافة إلى فهم الطبيعة البشريّة وكيفيّة تأثُّرها وتأثيرها بالجماعة والبيئة المحيطة[2].

3 - أهمية علم النفس الاجتماعي للإنسان:

إن علم النفس الاجتماعي يهتم بدراسة العمليات النفسية المختلفة التي يمر بها الفرد والتي تنمو عن طريقها الشخصية الاجتماعية، ثم أنه يهتم بالعلاقات التي تنشأ بين الفرد والشخصيات الأخرى، ويهتم بدراسة ديناميكية العلاقات والتفاعل الذي يحدث بين الأفراد في مواقف الحياة المتعددة.

ولشعور الفرد بالأمن والسعادة أهمية كبرى في علاقاته الاجتماعية. فليس من الشك أنه إذا قوبل الفرد بعنف وعدم تقدير من الآخرين فإن سلوكه قد يتحول إلى سلوك عدائي، وقد لا ينتج ما يناسب قدراته وقد لا يسلك السلوك الذي يرضاه مجتمعه، وربما سيصاب بأعراض نفسية مرضية.

أما إذا عومل الفرد معاملة حسنة واستجاب الآخرين نحو استجابات الود والحب والعطف فإنه يستجيب للآخرين استجابة الود والصداقة والحب، ويسلك السلوك الذي ترضاه الجماعة.

---

[1] مصطفى صالح الأزرق: علم النفس الاجتماعي: اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2013، ص19.

[2] ياسمين عدنان أبو سالم: تعريف علم النفس الاجتماعي، تعريف علم النفس الاجتماعي – موضوع.(Mawdoo3.com) ت ن : 05-10-2021، ت د : 05-01-2024

كـذلك لا بـد لـدارس علـم الـنفس الاجتمـاعي أن يـدرك علـى أنـه ينبغـي أن نحكـم علـى التفاعل الاجتماعي من وجهة نظر الشخص ذاته. ومن خلال إطاره المرجعي[1].

[1] أحمد محمد الزبعي: أسس علم النفس الإجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص27.

المطلب الثاني / اكتشاف ظاهرة الجماهير:

ظهرت الجماهير كواقع على المسرح الأوروبي، وكانت تمثل تحديًا للنظام الاجتماعي، مما دفع الباحثين إلى دراستها وفهمها. ونتجت عن هذا الدافع ثلاثة تفسيرات رئيسية لمفكرين إيطالين لم يذكرهم غوستاف لوبون* بأسمائهم، أعدت الأرضية لنظريته حول سيكولوجية الجماهير.

1 _ الجماهير أشخاص هامشيين وشاذين:

الجماهير مؤلفة من أشخاص هامشيين وشاذين عن المجتمع وهكذا نجد أن الجمهور يتطابق بحسب هذه النظرة مع الرعاع* والسوقة والأوباش إنهم رجال ونساء بدون عمل محدد ومستبعدون من ساحة المجتمع الفعلية، فالجماهير هي عبارة عن تراكم من الأفراد المتجمعين بشكل مؤقت على هامش المؤسسات وضد المؤسسات القائمة[1].

يعتبر الجمهور بحسب هذه الرؤية مجموعة من الأفراد الهامشيين في المجتمع، يتميزون بانحرافهم ويتمثل الجمهور في الطبقة الدنيا، وبالتالي حشدا متجمعًا من الأفراد يتخذون موقفًا من السلطة والهياكل الاجتماعية مما يمنحهم هوية جماعية ويميزهم كوحدة معارضة للنظام.

---

* ولد غوستاف لوبون في مقاطعة نوجون بمنطقة النورماندي بفرنسا في 7 ماي 1841 من عائلة بورجوازية درس في مدينة تور ثم كلية الطب بباريس حيث حصل على درجة دكتوره، وفي عام 1866م ظهر أول أعماله "الموت الظاهر والدفن المبكر" توجه بعدها بسنوات عدة إلى مجال الطب وعكف على دراسات علم النفس، و كان لوبون موسوعة ثقافية بتنوع اهتماماته، اهتم بعلم الحضارات بشكل عام ، و كان من الأوائل المؤرخين الأوروبيين الذين اعترفوا بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي، اهتم بالطب النفسي وخصوصا السلم الاجتماعي حيث ألف كتاب سيكولوجية الجماهير ، توفي في ديسمبر 1931.

فايز بن علي شهري: غوستاف لوبون، المركز الثقافي للكتاب للنشروالتوزيع، المغرب، 2019، ص 22-23.

* الرعاع هم جماعة من الناس يقومون بأعمال شغب وتخريب تعبيرا عن شعور عام بالاستياء أكثر مما تعبر عن اهداف محددة، ومع ظاهرة هذه الجماعة وحالة الشغب التي تصدر عنها، ينظر دائما إلى من يقوم بها والبيئة التي يأتون منها؟ فغاليا ما تلعب الخلفية الثقافية - الاجتماعية دورا في تصوير معالم التحرك الذي يقوم به الرعاع، فهم اما قادمون من أرياف الى مدن وسكنوا الضواحي، وأما هم أيد عاملة تكدست في احياء، وأما هم شبيبة موتورة تحتمي بقوى مسلحة تثير الفوضى هنا والرعب هناك بهدف تحريك وضعا يراد منه الضغط على مواقف سياسية غير مرحبة من فئة معينة من الناس أو ضد اجراءات حكومية اتخذت
مأمون طربيه: السلوك الاجتماعي في الجماعات غير المنظمة، دار النهضة العربية، بيروت، 2014، ص .

[1] غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، تر: هاشم صالح، دار الساقي، ط1، بيروت، 1991، ص29.

2_ الجماهير مجنونة:

تظهر الجماهير في طبيعتها كمجنونة حيث تعبر عن هذا الجنون بتصفيقها لمطربها أو لفريقها في كرة القدم وبانتظارها لساعات من أجل رؤية شخصية مشهورة للحظات قليلة، وحتى الجماهير التي تندفع لمهاجمة شخص ما دون التأكد من إدانته توضح أيضًا مظاهر الجنون، وتتبع الجماهير الديانة والزعماء حتى الموت وتقوم بإحراق ما كان عندها مقدسًا في الماضي وتتغير أفكارها بسرعة كما تتغير قمصانها، وتُعَدُّ هذه الأعمال التي تقوم بها الجماهير من مظاهر الجنون وتكشف عن الجانب السري من طبيعة الإنسان.

3 _ الجماهير مجرمة:

أما الجواب الثالث فيزايد على الجوابين السابقين ويمشي خطوة أخرى في اتجاه التهجم على الجماهير، ويقول بأنها مجرمة فبما أنها مؤلفة من الرعاع والأوغاد، أي من الرجال الغاضبين والحاقدين فإنها تهجم وتقتل وتسلب كل شيء إنها تجسد العنف الهائج دون أي سبب أو مبرر واضح وهي تعصى السلطات القائمة وتخرج على القانون[1].

وفقًا لهذه للرؤية يُعتبر الجمهور مجرمًا بطبيعته، ويُشير هذا إلى أن الجماهير تتألف من الرعاع والأوغاد أي من الغاضبين والحاقدين وهم الذين يتسمون بالغضب والحقد ويميلون إلى السلوكيات الإجرامية.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص29.

_ المبحث الثاني / طبيعة روح الجماهير عند لوبون

المطلب الأول / نظرية لوبون في نفسية الجماهير

المطلب الثاني / خصائص الجماهير النفسية

المطلب الثالث / عواطف الجماهير واخلاقها عند لوبون

_ المبحث الثاني / طبيعة روح الجماهير:

المطلب الأول / نظرية لوبون في نفسية الجماهير:

1_ لوبون يقترح تفسيرا جديدا لظاهرة الجماهير:

التفسيرات الثلاثة المقدمة لظاهرة الجماهير، كانت وراء إعداد الأرضية لغوستاف لوبون، حيث إقترح خطا جديدا لتفسير ظاهرة الجماهير، مخالفا بذلك الأجوبة السابقة:

ويرى أن الميزة الأساسية للجمهور هي ذوبان أفراده في روح واحدة وعاطفة مشتركة بينهم، تقضي على الميزات الشخصية وتخفض من مستوى الوعي والملكات العقلية.

وفقًا لهذا يتضح أن اندماج فرد في مجموعة معينة قد يؤدي إلى تبني صفات المجموعة، مما يسبب في النهاية تلاشي هويته وتراجعه في الذكاء، وهذا يتمثل في أن الفرد عندما يندمج في مجموعة يفقد بعضا من هويته ويصبح جزءًا من هوية المجموعة، وبالمقارنة يمكن اعتبار افرد المعزول عن المجموعة يحتفظ بهويته الذهنية بشكل أفضل، ويشبه هذا عملية صهر العناصر الكيميائية، حيث يؤدي اندماجها إلى فقدان خصائصها نتيجة التفاعل الكيميائي.

2: اكتشافات لوبون حول نفسية الجماهير:

يعتبر لوبون الجماهير ظاهرة تندرج ضمن المجتمع، حيث تنعكس تفاعلاتها الاجتماعية وتأثيراتها على المجموعة بأسرها، ويشير إلى أن الأفراد ينحلون في الحشد ويذوبون فيه، ويفسر هذا الاندماج عن طريق عملية التحريض التي تأثر في الفرد بالمحفزات التي تدفعه نحو التفاعل مع الجماهير ويستجيب لها بالتأييد والموافقة.

أما بالنسبة للقائد فيعتبر لوبون أنه يمارس دورًا مشابهًا لدور الطبيب على المريض، حيث يمارس عملية التنويم المغناطيسي على الجماهير ويعني ذلك أن القائد يتمكن من التأثير على الجماهير بشكل مباشر ويقودها نحو أفكاره وآرائه، مما يجعله قادرًا على توجيه سلوكها بشكل فعال فيقول: "القائد المحرك يمارس عملية تنويم مغناطيسي على الجماهير تماما كما يمارس الطبيب على المريض"[1].

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص32.

من خلال ما سبق ذكره يظهر أن لوبون في تفسيره لظاهرة الجمهور إعتمد على الأساس النفسي، بحيث يرى أن الانتماء إلى جمهور يسير وفق التبعية للقائد وأوامره ونواهيه، ويشبه لوبون القائد بالطبيب الذي يمارس مهنة الطب، أي أنه خاضع لتوجيهات الطبيب ونفس الشيء بالنسبة للجماهير حيث تتبنى أوامر ونواهي محركها أكانت إيجابية أم سلبية.

3: المبادئ العلمية لنظرية لوبون:

من خلال الإكتشافات التي وضعها لوبون نستنتج بعض المبادئ العلمية في هذه النظرية النفسية في تفسير ظاهرة الجمهور:

إن الجماهير النفسية تختلف عن الجماهير العادية لان الجمهور نفسي يجتمع على وحدة ذهنية ويتضح هذا في قوله: "أن الجمهور النفسي (LEFOULEPSYCHOLOGIKUE) يختلف عن التجمع العادي أو العفوي للبشر في ساحة عامة مثلا أو على موقف خاص فالجمهور النفسي يمتلك وحدة ذهنية على عكس هذه التجمعات غير المقصود"[1]، كذلك يبين لوبون أن الجمهور يتحرك بشكل غير واع على عكس الفرد، ذلك أن الوعي فردي أما اللاوعي فهو جماعي.

ويرى لوبون أن الجمهور محافظ بطبيعته ويعتبر الماضي أقوى بكثيرمن الحاضر على الرغم من تظاهراتها الثورية فهي تعيد في نهاية المطاف ما كانت قد دمرته ذلك أن الماضي لديها أقوى من الحاضر.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص32.

_ المطلب الثاني / خصائص الجماهير النفسية:

1 / الخصائص العامة للجمهور:

أ_ ذوبان الشخصية الأفراد في اتجاه واحد:

"يرى لوبون إن ذوبان الشخصية الواعية للفرد وتوجه المشاعر والأفكار في اتجاه موحد يشكل الخاصية الأولى للحشد الذي، ولكن هذا لا يتطلب حضور العديد من الأفراد في نقطة واحدة ذلك أنه يمكن للأفراد المنفصلين عن بعضهم أن يكتسبوا صفة الجمهور النفسي وذلك تحت تأثير الانفعالات العنيفة أو تحت تأثير حدث عظيم"[1].

"لقد إعتبر لوبون أنه من الصعب دراسة روح الجماهير ذلك أن تركيبتها مختلفة، بحسب العرق البشري وتشكيلة الجماعات وطبيعة المحرضات التي تتعرض لها ودرجتها"[2].

ب_ الروح الجماعية:

يقول لوبون: " والظاهرة التي تدهشنا أكثر في الجمهور النفسي هي: أيا تكن نوعية الأفراد الذين يشكلونه وأيا يكن نمط حياتهم متشابها أو مختلفا وكذلك اهتماماتهم وذكاؤهم، فإن تحولهم إلى جمهور يزودهم بنوع من الروح الجماعية "[3]، "فتجمع هؤلاء الأفراد أصبح بمثابة الجسد الواحد حيث تجمعهم وحدة التفكير والعاطفة بخلاف حالتهم الأولى"[4].

وهذه الروح الجماعية تظَهر تأثيراً على سلوك وتفكير المحتشدين مما يجعلهم يتصرفون بطريقة مختلفة عندما يكونون في جماعة عكس وضعهم في العزلة، وتعكس بعض الأفكار الناتجة عن هذه الروح الجماعية قدرتها على إثارة الفرد والتحول إلى أفعال تظهر بشكل واضح لدى الأفراد الذين يندمجون في الجماعة ويكونون جزءاً منها.

د_ إكتساب شعور عارم بالقوة:

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص54.

[2] حفيظ اسليماني: الجماهير وقانون وحدتها الفكرية النفسية وعواطفها وأخلاقها، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 24، المجلد6، جوان 2022، ص58.

[3] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص54-55.

[4] حفيظ اسليماني: مرجع سابق، ص58.

"أسباب عديدة تتحكم بظهور الصفات الخاصة بالجماهير وأولها أن الفرد المنضوي في الجمهور يكتسب بواسطة الأعداد المتجمعة شعورا بالقوة، وهذا ما يتيح لها الانصياع إلى بعض الغرائز ولولا هذا الشعور لما انصاع وهو ينصاع لها عن طوع واختيار لأن الجمهور مغفل بطبيعته وبالتالي فغير مسؤول، وبما أن الحس بالمسؤولية هو الذي يردع الأفراد فإنه يختفي في مثل هذه الحالة كليا"[1].

وهذا الأمر يتأكد عند التحدث حول ظاهرة الإرهاب، إذ يُظهر الانخراط الفردي في مجموعة ما تأثيراً على الفرد بتزايد قوته وتأثيره بشكل عام، ويتسبب هذا التفاعل فيي كسب نفسي للفرد مما يُعزز الإقبال على الانضمام للجماعة، بالإضافة إلى تعزيز الروابط الاجتماعية لأفرادها وزيادة ولائهم للمجموعة وبذلك يشعر الفرد داخل الجماعة بالقوة والتأثير الذي كان يفتقدهما أثناء فترة العزلة.

2 / الخصائص الأساسية للجمهور:

"بمجرد أن ينضوي الفرد داخل الجمهور فإنه ينزل درجات في سلم الحضارة فعندما يكون الفرد معزولا ربما يكون مثقفا متعقلا ولكنه ما إن ينضم في الجمهور حتى يصبح مقودا وهمجيا وهو عندئذ يتصف بصفات الكائنات البدائية وعنفها ويقترب منها أكثر بالسهولة كلما كان عرضة للتأثر بالكلمات والصور التي تقود الحشود إلى اقتراف أعمال مخالفة لمصالح الفرد الشخصية"[2].

"وإذا كان هذا حال الفرد داخل الجمهور فهذا الأخير إذن نفسه أدنى مرتبة من الإنسان المفرد عقليا وفكريا"،[3] حيث تتلاشى الشخصية الواعية وتسيطر الشخصية اللاواعية، وهنا يزداد الخطر عندما يتحول التحريض الذي يعرض الأفكار إلى أفعال ملموسة وبذلك يصبح الفرد كآلة لم يعد لإرادته دور في قيادته.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص58.
[2] " المصدر نفسه"، ص60.
[3] حفيظ اسليماني: مرجع سابق، ص58.

المطلب الثالث / عواطف الجماهير واخلاقها عند لوبون:

بعد التحدث بشكل عام عن الخصائص الأساسية للجماهير التي تتضمن العديد من السمات الخاصة بالجماهير مثل الانفعال السريع والعجز عن المحاكمة العقلية وانعدام الرأي الشخصي والروح النقدية والميل للمبالغة في العواطف والمشاعر وغيرها ونجدها في الكائنات التي تنتمي إلى الأشكال الأدنى من التطور مثل الشخص المتوحش أو الطفل، وسنتناول الآن عواطف الجماهير واخلاقها عند لوبون واحدة تلو الأخرى والتي يسهل ملاحظتها لدى معظم أنواع الجماهير.

1/ سرعة إنفعال الجماهير وخفتها ونزقها:

"تفقد الجماعة إرادتها وتعجز عن التفكير وتصبح ألعوبة بيد المحرضات فتراها تنقاد بسهولة وتتقلب بغتة من الفوضى والتوحش إلى التنظيم أو البطولة حسب المحرض الذي يلقنها"[1]. فأعماله واقعة تحت تأثير النخاع الشوكي أكثر مما هي واقعة تحت تأثير المخ أو العقل، ويمكنها أن تنجز هذه الأعمال بكل دقة من حيث التنفيذ ولكن بما أنها غير موجهة من قبل العقل فإن الفرد يتصرف وفق هوى صدف التحريض، فإن الجمهور الذي يقع تحت تأثير كل المحرضات الخارجية يعكس متغيراتها التي لا تتوقف فهو عبد للتحريضات التي يتلقاها والفرد المعزول يمكن أن يخضع لنفس المحرضات المثيرة كالفرد المنخرط في الجمهور ولكن عقله يتدخل ليبين له مساوئ الانصياع لها، وبالتالي لا ينصاع، إذن الفرد المعزول له الأهلية التامة في التحكم في كامل ردود أفعاله و ذلك ما يغيب عند حضور العقل الجمعي والإنخراط ضمن جمهور.

إذن لا شيء متعمد أو مدروس لدى الحشود فهي حسب لوبون تستطيع أن تعيش كل العواطف وتنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة وذلك تحت تأثير المحرض السائد في تلك اللحظة التي تعيشها، فالجماهير تشبه الأوراق التي تلعب بها الرياح وتبعثرها في كل اتجاه، وهذه الصفة الحركية المتغيرة التي تميز الجماهير تجعل من الصعب حكمها وخاصة عندما يسقط جزء من السلطات العامة تحت يدها، والجماهير التي ترغب في الوصول إلى الأشياء بنوع من الجنون لا تثبت عليها لفترات طويلة فهي عاجزة عن الإرادة الدائمة و التفكير الدائم والمستقر "فالجمهور مثل الإنسان الهمجي لا يعبأ بأي عقبة أمامه، فكثرة عدده تزيده قوة

[1] سهى ديوب: تميل إلى التطرف وسهلة الانقياد: أهم أفكار غوستاف لوبون عن سيكولوجية الجماهير، نفسيتي (nafseyati.com)، 07-05-2023، ت د: 04-03-2024

وتحريضا أكثر. وبالتالي هو كلما سنحت له الفرصة سيرتكب أبشع الأعمال التخريبية بكل جنون"[1].

2/ سرعة تأثر الجماهير وسذاجتها:

يشير لوبون إلى سرعة تأثر الجمهور وسذاجته بقوله: "فإنه يجد نفسه في غالب الأحيان في حالة مهيأة لتلقي أي اقتراح، وأول اقتراح يفرض نفسه عن طريق العدوى لدى الأذهان، ولدى الأشخاص المستثارين تميل الفكرة الثابتة إلى أن تتحول إلى فعل مثل حرق قصر أم القيام بعمل خيري جليل الجمهور ينخرط من أجله مباشرة بسذاجة"[2].

فالجمهور ميزته سرعة التصديق دون التفكير والتدقيق ويشير لوبون لمسألة الأساطير وسهولة انتشارها قائلا "إن خلق الأساطير التي تنتشر بمثل هذه السهولة في أوساط الجماهير ليس فقط ناتجا عن سرعة كاملة في التصديق، وإنما عن تشويه هائل أو تضخيم هائل للأحداث في مخيلة الأفراد المحتشدين ، فالحدث الأكثر بساطة يتحول إلى حدث آخر مشوه بمجرد أن يراه الجمهور"[3] وهذا بسبب غياب العقل عند الجماهير وقبولها لكل شيء، مما يسهل انتشار هذه الأفكار بين الجماعات و التحكم في الأفراد منها وكأنها آلات مثلما يشير لوبون: "فالجمهور يفكر عن طريق الصور، والصور المتشكلة في ذهنه تثير بدورها سلسلة من الصور الأخرى بدون أي علاقة منطقية مع الأولى، ويمكننا أن نتصور بسهولة هذه الحالة عن طريق التفكير بالتتابع الغريب للأفكار الذي يقودنا إليه تذكر حدث معين والعقل يبين لنا عدم تماسك مثل هذه الصور لكن الجمهور لا يرى ذلك"[4].

3/ عواطف الجماهير تضخيمها وتبسيطها:

إن العواطف التي تعبر عنها الجماهير أكانت إيجابية أو سلبية تكون مضخمة بشكل كبير ومبسطة للغاية وبالنسبة، لهذه النقطة وغيرها يقترب الفرد المندمج في الجماهير كثيرًا من الكائنات البدائية، حيث يفتقر القدرة على التمييز بين تفاصيلها الدقيقة وينظر إلى الأمور ككتلة واحدة دون القدرة على فهم تدرجاتها الانتقالية.

"وعنف عواطف الجماهير يزداد مبالغة وتضخيماً لدى الجماهير غير المتجانسة بسبب انعدام المسؤولية وتصبح الثقة بالنفس والاطمئنان بعدم المعاقبة أقوى كلما كان عدد الجمهور أكبر لأن ذلك يشعره بزيادة سلطته وهذا ما يجعل

[1] حفيظ اسليماني: مرجع سابق، ص60.
[2] غوستاف لوبون: مصدر سابق ص66.
[3] المصدر نفسه، ص67.
[4] المصدر نفسه، ص67.

الجماهير عند إحتشاها قادرة على القيام بأعمال يعجز عنها الفرد ففي الجمهور يتحرر الأبله والجاهل من الإحساس من دونيتهم وعدم كفاءتهم ويصبحون مجيشين بقوة عابرة، ولكن هائلة"[1]، وهنا يشير لوبون إلى أن عواطف الجماهير تصير أكثر عنفًا وتضخيمًا في الجمهور غير المتجانس نتيجة إنعدام المسؤولية وعدم الخوف من العقاب خاصة عندما يكون عدد أفراد الحشد كبيرًا، حيث يشعر الفرد بزيادة قوته وسلطته وهذا يجعل الجماهير قادرة على تنفيذ أعمال يصعب على الفرد الواحد تنفيذها وهذه القدرة غالبا ما تكون في الأفعال الشريرة، ويشير إلى ذلك قائلا: "للأسف فإن حس المبالغة والتضخيم لدى الجماهير يتركز غالباً على العواطف الشريرة التي تمثل بقايا وراثية عن الإنسان البدائي، ومن المعروف أن الخوف من العقوبة يجبر الإنسان الفرد والمسؤول على قمع العواطف"[2].

4/ تعصب الجماهير وإستبداديتها

يعرج لوبون على مسألة تعصب الجماهير وإستبدادها بقوله: "وبما أن الجماهير لا تعرف إلا العواطف البسيطة والمتطرفة، فإن الآراء والأفكار والعقائد التي يحرضونها عليها تقبل منها أو ترفض دفعة واحدة فإما أنَ تعتبرها كحقائق مطلقة أو أخطاء مطلقة"[3].

وتظهر هذه الحالة عند تشكل العقيدة عن طريق التحريض بدل العقلانية والمحاجاة الرشيدة، ونعلم حجم تعصب العقائد الدينية وسلطتها الاستبدادية على النفس والجمهور الذي لا يُشك في معتقداته، والذي يُدرك قوته وتأثيره ويظهر استبداده بمقدار تعصبه، وفي التجمعات العامة والخطابات يُلاحظ أن أدنى اعتراض من الخطيب يثير الغضب والشتائم ويتبع ذلك الضرب والطرد إذا تمسك الخطيب برأيه، ولولا وجود قوات الأمن لكانت النتيجة القتل.

5/ أخلاقية الجماهير:

يركز علماء النفس الذين درسوا الجماهير على أفعال الجريمة مما يجعلهم يستنتجون إنحطاط أخلاق الجماهير. وإذا نظرنا لمفهوم الأخلاقية باعتباره الاحترام للعادات والتقاليد بالإضافة إلى قمع الأنانية، فإننا نجد أن الجماهير تظهر بمزيج من النزوات مما يجعلها غير مستعدة للتقدير الأمثل للأخلاقية، ومع ذلك إذا فهمنا الأخلاقية على أنها صفات كالتفاني والإخلاص والتضحية، فيمكن أن نقول بأن الجمهور قادر على تحقيق مستويات أخلاقية عليا.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق ص74.
[2] المصدر نفسه، ص75.
[3] المصدر نفسه، ص76.

ويـذكر لوبـون: "أن الجمـاهير قـادرة علـى أرفـع أنـواع الأخلاقيـة فعلمـاء الـنفس النـادرون الـذين درسـوا الجمـاهير لـم يدرسـوها إلا مـن وجهـة نظـر أفعالهـا الجرائميـة، ولمـا رأوا أن هـذه الأفعـال عديـدة ومتكـررة فـإنهم اسـتنتجوا بـأن الجمـاهير ذات أخلاقيـة منحطـة جـداً"[1] علـى الـرغم مـن أن الجمـاهير فـي أحيـان كثيـرة تظهـر أخلاقهـا الرفيعـة حيـث تتضـح النزاهـة والتفـاني والتضـحية مـن أجـل القضـايا الكبـرى، ويظهـر ذلـك فـي العديـد مـن الأحـداث التاريخيـة كـالحروب والثـورات، حيـث تظهـر الجمـاهير قـادرة على تحقيق أعمال راقية وتضحيات كبيرة من أجل قضاياها.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص79.

الفصل الثاني:
التكوين العقلي للجماهير

إن للجماعة سلطة على الأفراد، فالجماهير ترى أن ما يصدر عن الجماعة من أفكار وسلوكات وتوجهات وقرارات دائما يكون صحيحاً، وبذلك تكون للجماعة سلطة وسطوة على تفكير الجماهير، فكيف تتشكل الأفكار والآراء التي تتبناها الجماهير؟ وماهي أنماط تفكير الجماهير؟ ولماذا يغيب أو يكاد ينعدم المنطق بين الجماهير؟ وكيف تستخدم الحجج المنطقية في توجيه الرأي العام للجماهير؟ ومدى تأثير الخيال على الجماهير؟

_ المبحث أول / تشكل أفكار وآراء للجماهير

المطلب الأول / أفكار الجماهير

المطلب الثاني / المحاجات العقلية للجماهير

المطلب الثالث / خيال الجماهير

_ المبحث أول / تشكل أفكار وآراء للجماهير

_ المطلب الأول / أفكار الجماهير

قسم لوبون الأفكار إلى فئتين:

الأولى؛ تضم الأفكار العابرة التي تظهر تحت تأثير اللحظة وتتغير باستمرار مثل الانبهار بشيء ما أو بعقيدة معينة،

أما الفئة الثانية؛ فتضم الأفكار الأساسية التي تتأثر بالبيئة والوراثة والرأي العام مثل الأفكار الدينية والاجتماعية

ويقارن لوبون بين هاتين الفئتين بأن الأفكار الأساسية تشبه مياه النهر التي تتدفق ببطء، في حين تشبه الأفكار العابرة الأمواج الصغيرة التي تتغير باستمرار على السطح ويرى أن الأفكار العابرة على الرغم من أهميتها القليلة تظهر بشكل أكثر وضوحًا من الأفكار الأساسية.

ويشير لوبون إلى أن الأفكار الكبرى الأساسية قد أصبحت مهتزة في العصر الحالي، مما يجعل المؤسسات التي تقوم على هذه الأفكار غير مستقرة بشكل كبير، ويعتبر أن الكثير من الأفكار العابرة الصغيرة التي تظهر في الوقت الحاضر قد لا تكون لها تأثير هام أو دائم، ويرى أن الأفكار التي تصبح سائدة بين الجماهير تحتاج إلى تبسيط كبير وأن تظهر بشكل صور وليس لها رابط منطقي يربطها مع بعضها البعض وهذا يجعلها قابلة للتغيير بسهولة.

ويؤكد غوستاف لوبون أن هذه الظاهرة ليست محصورة على الجماهير فقط، بل تظهر أيضًا لدى الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعات مختلفة، مشيرًا إلى أن الأفكار الأساسية الوراثية هي التي تكون الأكثر تأثيرًا على الأفراد وتحرك سلوكهم، بينما الأفكار العابرة قد تظهر بشكل متناقض في سلوك الفرد حسب اللحظة وصدقها.

ويوضح لوبون أن الأفكار التي تؤثر على الجماهير أو تحركها لا يمكن لها أن تكون مهيمنة إلا إذا اتخذت شكلًا بسيطًا جدًا وتجسدت في صور بدون رابط منطقي بينها، ويعتبر أن هذه الأفكار هي التي تؤثر بشكل كبير في سلوك الجماهير وتحركها.

المطلب الثاني / المحاجات العقلية للجماهير

يرى غوستاف لوبون أنه "لا يمكننا القول بشكل مطلق أنه لا يمكن التأثير على الجماهير بواسطة المحاجات العقلية، ولكن الحجج التي تستخدمها والتي تؤثر عليها تبدو من وجهة النظر المنطقية متدنية لا يمكننا وصفها بالعقلانية إلا عن طريق القياس والتشبيه[1]".

تحليل هذا النص يكشف عن فجوة بين المحاجات العقلانية وتأثير الخطابات على الجمهور، ويرى لوبون أن حجج المحاجات العقلية قد تكون منطقية، لكنها لا تؤثر على الجماهير بسبب تعقيد مضمونها، وبالمقابل تعتمد الخطابات المؤثرة في الجماهير على ترابطات سطحية ومبسطة تجعلها قابلة للفهم والتأثير، ويُظهر لوبون أن هذا النوع من الخطابات ينجح في تحريك الجماهير نحو أهداف معينة في حين لا تتمكن المحاجات العقلانية الصارمة من ذلك.

ويرى لوبون أن الجماهير تفتقر إلى القدرة على التفكير المتعقل مما يجعلها عرضة لتأثير الخطابات المبسطة، هذا العجز يجعل الأفراد يقبلون الآراء دون تمييز ويعتبرونها حقائق مفروضة دون إمكانية النقاش، ومن هنا يربط لوبون بين عجز الجماهير عن التعقل وانتشار الآراء السطحية التي تتركها الخطابات، فعجز الجماهير عن التفكير يحرمها من الروح نقدية، أي من كل قدرة على التمييز وبالتالي من تشكيل حكم على الأمور.

ومن خلال ما سبق يُبين لوبون أن بعض الخطابات الفعّالة قد تكون بسيطة ، ويُشير إلى أن هذه الخطابات تستهدف الجماهير دون الحاجة إلى فهم عميق أو منطق صارم، ويؤكد على أن تلك الخطابات كثيراً ما تحقق أهدافها في توجيه الجماهير نحو الفكرة المرغوبة.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص85.

المطلب الثالث / خيال الجماهير

يتحدث غوستاف لوبون عن قوة الخيال لدى الجماهير وتأثيرها العميق على سلوكهم وتصرفاتهم ويرى أن الجماهير تميل إلى الاستجابة للصور الشديدة التأثير التي تثير خيالها، فيقول " إن الخيال الخاص بالجماهير مثل خيال الكائنات التي لا تفكر عقلانياً فخو مهياً لأن يتعرض للتأثير، فالصور التي تثيرها في أنفسهم شخصية معينة أو حدث ما لها نفس قوة الأشياء الواقعية[1]".

ويشبهها بالنائم الذي يترك نفسه عرضة للأحلام القوية ويعتبر أن العواطف التي تنشأ عن طريق الصور قد تدفع الجماهير إلى العمل والتصرف بشكل فعلي، فيشير إلى أن " الجماهير تشبه إلى حد ما النائم الذي يتعطل عقله ويترك نفسه عرضة لانبثاق صور قوية ومكثفة جدا[2]"، ويشير إلى أن التمثيل المسرحي يمتلك قوة خاصة في التأثير على الجماهير، فكانت العروض المسرحية في روما القديمة مصدر سعادة للناس، فيقول "ولهذا السبب فإن التمثيلات المسرحية تقدم الصور بصيغ أكثر وضوحاً دائماً، فتشكل تأثيراً ضخماً على الجماهير، وكان الخبز و التمثيلات المسرحية يشكلان مثال السعادة بالنسبة لكل الناس في روما قديماً، ولم يتغير هذا إلا قليلا على مدار الأزمنة المتتابعة ولا شيء يؤثر على الخيال الشعبي أكثر من عرض مسرحي[3]".

ويذكر لوبون أيضًا أن الخيال الشعبي يمكن أن يكون أساسًا لقوة الحكام والدول، حيث يمكن استخدامه لتجنيد وتحريك الجماهير ويعتبر أن الأحداث التاريخية الكبرى كالديانات الدينية والثورات كانت نتيجة لتأثير الخيال الشعبي، فيقول " وعلى قاعدة الخيال الشعبي تأسست مقدرة وقوة الدول فعن طريق هذا التأثير تم تجييش الجماهير وكل الأحداث التاريخية الكبرى كتأسيس الإسلام والثورة الفرنسية كانت نتيجة لتأثير الخيال الشعبي [4]".

يضيف لوبون أن الطريقة التي يتم عرض الأحداث بها تلعب دورًا هامًا في تأثيرها على خيال الجماهير، فمثلاً يشير إلى أن حادثة واحدة كبيرة قد تكون أكثر تأثيرًا من مائة حادث صغير وهذا لأنها تولد صورة مؤثرة وواضحة تملأ الروح بالهوس والدهشة، ويبرز أن الأحداث التي يتم تقديمها بشكل مكثف ومؤثر دائمًا ما تحظى بتفاعل أكبر من الجماهير. فيقول: "كل ما يؤثر في مخيلة الجماهير يقدم على هيئة صورمؤثرة وصريحة، ومن المهم هنا عرض الأشياء ككتلة واحدة فمائة جريمة صغير أو حادث صغير لا تؤثر على مخيلة الجماهير ولا تحركها، ولكن

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص86.
[2] المصدر نفسه، ص86.
[3] المصدر نفسه، ص87.
[4] المصدر نفسه، ص88.

كارثة واحدة أو جريمة واحدة كبيرة تؤثران فيها بعمق حتى ولو كانت نتائجهما أقل من نتائج المائة حادث مجتمعة[1]".

ويرى لوبون أن معرفة كيفية التأثير في خيال الجماهير هو أساس الحكم وأن هذه القدرة تمثل قوة للحكام والساسة إذا ما كانوا قادرين على إثارة الجماهير ونيل إعجابها، فسيكونون قادرين على توجيه سلوكاتها بشكل فعّال.

[1] غوستاف لوبون: "مرجع سابق" ص89.

_ المبحث الثاني / عوامل تشكل عقائد وأراء الجماهير

المطلب الأول / العوامل البعيد

المطلب الثاني / العوامل المباشرة

_ المبحث الثاني / عوامل تشكل عقائد وأراء الجماهير:

_ المطلب الأول / العوامل البعيد:

1_ العرق:

إن قوة العرق كبيرة إلى درجة أنه لا يمكن لأي عنصر أن ينتقل من أي شعب إلى آخر دون أن يتعرض للمتغيرات الأكثر عمقاً، فالبيئة والظروف والأحداث تمثل المقترحات الاجتماعية الخاصة باللحظة ويمكنها أن تمارس فعلاً مهماً، ولكن دائماً مؤقتاً إذا كانت مضادة لمقترحات العرق أي لكل سلسلة الأسلاف والآباء والأجداد.

"أن هذا التأثير من القوة بحيث أنه يسيطر على خصائص روح الجماهير ولهذا السبب فإن العديد من البلدان تجسد في عقائدها وسلوكها اختلافات متمايزة وقوية ولا يمكن التأثير عليها بنفس الطريقة"[1].

2 -التقاليد الموروثة:

إن التقاليد تمثل الأفكار الخاصة بالماضي وتمثل خلاصة الشعب وهو مخلوق من قبل الماضي لا يتغير إلا بواسطة التراكمات الوراثية، فالحكام الحقيقيون هم تقاليد وأفكار الجماهير الموروثة، فإنهم لا يغيرونها منها إلا الأشكال الخارجية ، فأن أكبر همين للإنسان منذ أن وجد، كانا خلق التقاليد ثم في تدميرها عندما تكون آثارها النافعة قد استنفدت، فبدون تقاليد لا توجد حضارة وبالإزالة التدريجية لهذه التقاليد يوجد التقدم، وبالتالي فمهمة الشعوب تكمن في الحفاظ على تقاليد ماضيها عن طريق تعديلها، ولبيان مدى تأثير التقاليد على روح الجماهير نضرب على ذلك المثال التالي: اعتقد الناس في نهاية القرن ال20 أن الأفكار الدينية القديمة قد انتهت بعد الاضطهاد الشامل للشعائر الكاثوليكية، ولكن بعد مرور السنوات أدت المطالب العامة لإعادة الشعائر الملغاة وهذا ما يبين مدى تأثير التقاليد الموروثة على روح الجماهير.

3- الزمن:

"إن الزمن هو الذي يحظر آراء وعقائد الجماهير على ناره، بمعنى أنه يهيئ الأرضية التي ستنشأ عليها ونستنتج من ذلك أن بعض الأفكار التي يمكن تحقيقها في فترة معينة تبدو مستحيلة في فترة أخرى فالزمن يراكم البقايا العديدة للعقائد والأفكار وعلى أساسها تولد أفكار عصر أخر فهذه الأفكار لا تأتي بالصدفة وإنما

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص100.

نجدها تضرب عميقا في ماض طويل، وعندما تظهر يكون الزمن قد هيا المجال لها وإذا أردنا أن نفهم منشأها فينبغي أن نرجع بالزمن إلى الوراء "[1].

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص103.

المطلب الثاني / العوامل المباشرة

1- الصور والشعارات والعبارات والكلمات

"إذا لم يكن يوجد صور فيمكن اللعب على وتر الكلمات، فإذا ما تم استخدامها بشكل صحيح تفعل فعل السحر بالإنسان، فالعقل والمحاجات العقلية لا يمكن أن تقاوم بعض الكلمات والعبارات والصياغات التعبيرية"[1].

فالكلمات لها معنى مؤقت ومتغير متحرك من عصر إلى اخر وعندما نريد أن نؤثر على الجماهير فإنه ينبغي أن نعرف أولا معناها بالنسبة لها في لحظة معينة وليس في الماضي أو لدى أشخاص ذوي تكوين عقلي مختلف، وعندما تنفر الجماهير من الصور التي تثيرها الكلمات وذلك فإن الواجب الأول لقائد الدولة الحقيقي هو تغيير هذه الكلمات.

2- الأوهام:

"في الماضي كانت الناس تعتمد على الأوهام المستمدة من الدين أما في الوقت الحال، فالأوهام مستمدة من نظريات فلاسفة عصر النهضة"[2].فهي تعكس تأثيرها على الشعوب منذ القديم، إذ أسهمت في بناء المعابد والتماثيل وبدأت الأوهام في الماضي القديم بطابع ديني وتحولت لتصبح فلسفية واجتماعية وتجسدت هذه الأوهام في معابد مصر القديمة والنصب الدينية في القرون الوسطى، وتأثرت بها أوروبا خاصة خلال الثورة الفرنسية.

ولا يمكن لنا إنكار أن الأوهام لها تأثير على الفن والسياسة والمجتمعات، فإن لم يكن لها وجود لما كان الإنسان قادراً على الخروج من الهمجية البدائية، فعلى الرغم من جهود الفلاسفة في القرن الماضي لإنهاء وتدمير الأوهام الدينية والسياسية، إلا أنها لم تستطع تقديم البديل الذي يجذب الشعوب.

يبقى الوهم جزءاً من الحياة البشرية، ورغم تقدم العلم فإنه لم يقدر على توفير بديل قادر وكافي، فالأوهام الاجتماعية سيطرت تماما على الجماهير، حيث يعبر الناس عن غرائزهم بالتمسك بها وتجاهل الحقائق التي تزعجهم أو يريدون إنكارها.

---

[1] مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي: "مراجعة لكتاب سيكولوجيا الجماهير"، mena-monitor.org، 15-10-2019، ت د: 30-04-2024.

[2] مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي: المرجع نفسه.

بالتالي، يبدو أن الأوهام تعد جزءاً من حياة البشر ومن يستطيع توجيه ذلك الوهم يصبح سيداً للجماهير، ومن يحاول إزالتها يصبح ضحية لها.

3- التجربة:

"تشكل التجربة المنهجية الوحيدة الفعالة من أجل زرع حقيقة راسخة في روح الجماهير وتدمير الأوهام التي تشكل خطراً، ولكن ينبغي تعميمها وبشكل مكرر من أجل التوصل إلى أفضل نتيجة، وعموماً فإن التجارب التي عاشها جيل معين غير مجدية بالنسبة للجيل اللاحق ولهذا السبب فإن الأحداث التاريخية التي تضرب عادة كمثال على البرهنة لا تفيد شيئاً ففائدتها الوحيدة تكمن في البرهنة على ضرورة تكرار التجارب من عصر إلى عصر من أجل أن ممارسة بعض التأثير"[1].

4- العقل:

لوبون هنا يتناول العقل من الناحية السلبية وليس الإيجابية، فالجماهير لا تتأثر بالمحاجة العقلية ومخاطبوا الجماهير لا يتوجهون إلى عقولهم بل إلى عاطفتهم[2]، إذ لا يخاطب الزعيم أو الخطيب الذكاء بل يخاطب الأحاسيس لأن الذكاء لا يلعب أي دور في التجمهر بناء على هذا التصور من المستحيل تغيير ذهنية الجمهور عن طريق ثورة مزعومة[3].

فالجماهير لا تتأثر بالحجج العقلية بل تستجيب للروابط العاطفية بين الأفكار، ولذلك يتجه محركو الجماهير إلى استغلال عواطف الجماهير بدلاً من عقولها، وبالتالي يجب على القادة فهم العواطف التي تنشأ في قلوب الحشود ومشاركتها العواطف قبل محاولة تغييرها، وذلك عبر تحفيزها بصور تعتمد الربط الغير منطقي بين الأفكار.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص122.
[2] مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي: مرجع سابق.

[3] محند شريف منصر، فلسفة غوستاف لوبون السياسية والتاريخية وأبعادها السيكولوجية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 1، المجلد 13، قسم الأدب والفلسفة، 2021 ص302.

الفصل الثالث:
محركوا الجماهير وتصنيفاتها

الجماهير ليست كالفرد يبحث عن الحقيقة بالأدلة والبراهين بل هى كتلة تبحث عن البساطة لتسير حسبها نحو الهدف الذي تتوق إليه، فالمجموعات كلما كبرت كانت بعيدة كل البعد عن الصواب، وعليه فالجماهير تنقاد وقابلة للتوجيه والتوظيف ولا تتعب نفسها بالتفكير.

ومن هذا المنطلق تجد الأفكار البسيط والساذجة مكانها في عقول الجماهير بشكل أسرع وأعمق من تلك الأفكار التي تتطلب تفكيرا وتحليلا، فالجماهير يكفي أن تتأثر عاطفيا ببعض العبارات الرنانة فتنقاد إلى العمل دون أن تشعر أو تفكر بالدافع إليه أو في عواقبه

يرجع هذا الى السلطة التي تفرضها الجماهير على الفرد داخلها، وعليه وبعد أن عرفنا الكيفية التي تدار بها الأفكار داخل سلطة الجماهير لتتحول بعدها إلى أفعال وسلوكات وقناعات، فمن يستطيع توجيه الجماهير والتأثير عليها؟ وماهي تطبيقاتها على المستوى الواقعي؟

_ المبحث أول / محركو الجماهير وأساليب الإقناع

المطلب الأول / محركو الجماهير عند لوبون

المطلب الثاني / الوسائل التي يستخدمها القادة

المطلب الثالث / الهيبة الشخصية

_ المبحث أول / محركو الجماهير وأساليب الإقناع:

_ المطلب الأول / محركو الجماهير عند لوبون:

"ما إن يتجمع عدد من الكائنات الحية، سواء كان الأمر يتعلق بقطيع من الحيوانات أو من البشر حتى يضعوا أنفسهم بشكل غريزي تحت سلطة زعيم ما، أي محرك للجماهير، ونلاحظ أن القائد يلعب دوراً بالنسبة للجماهير البشرية فإرادته تمثل النواة التي تبنى حولها الآراء وتنصهر فيها، فالجمهور عبارة عن قطيع لا يستطيع الإستغناء عن سيده"[1].

ويشير لوبون إلى أن القادة عادةً ما يكونوا أشخاصًا ملتزمين ويُلاحظ أنهم يتجاهلون النظر العقلي، ويرى أنهم مستعدون للتضحية بحياتهم من أجل قضية معينة يؤمنون بها، إذ يعتبر الإيمان هو المحرك لديهم، حيث يسعون من خلاله لإثارة حماس الجماهير ويظهر القادة المتمتعون بإرادة قوية كأكثر الأشخاص تأثيرا على الجماهير.

وعلى الرغم من أن القادة كثر، إلا أن الزعماء الحقيقيين هم الذين يتمتعون بالقناعة إذ يستطيعون تحريك الجماهير بفضل إثارة حماسها بفضل إيمانهم العميق وإقتناعهم بمبادئهم وأفكارهم.

"إن دور القادة يكمن في بث الإيمان سواء كان هذا الإيمان اجتماعياً أم دينياً أم سياسياً فإنهم يخلقون الإيمان بعمل أو بشخص أو بفكرة ما، ومن كل القوى التي تمتلكها البشرية نجد أن الإيمان كان أهمها وأقواها" فإذا تزود الإنسان بالإيمان تضاعفت قوته فغالباً ما أنجزت أحداث التاريخ من قبل مؤمنين لا يمتلكون إلا إيمانهم الخاص والأديان التي حكمت والأمبراطوريات الشاسعة لم تؤسس من قبل الأدباء والفلاسفة، ولا المتشككين بالطبع"[2].

ويميل قادة الجماهير اليوم إلى أن يحلوا محل السلطات كلما تركت نفسها عرضة للمجادلة والنقد ويستطيع هؤلاء الأسياد عن طريق طغيانهم أن يحصلوا على طاعة وانقياد أكبر مما تحصل عليه أي حكومة من الجماهير، وإذا حصل أن مات القائد ولم يستبدل فوراً فإن الجمهور يتحول إلى تجمع فقد تماسكه، ونضرب على ذلك مثلا: إضراب سائقي الباصات في باريس فقد كان كافيا أن تقبض السلطات الفرنسية على محركي الاضراب ليتوقف فورا، والشيء الذي يهيمن على

---

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص127.

[2] المصدر نفسه، ص129.

روح الجمهور ليس الحاجة إلى الحرية بل الحاجة إلى العبودية، ذلك أن تعطشها للطاعة يجعلها تخضع لمن يعلن بأنه زعيمها[1].

وأمكن للوبون تصنيف محركي الجماهير وقادتها: فبعضهم ذوي إرادة قوية ولكن مؤقتة، وبعضهم الآخر يمتلك إرادة قوية ودائمة.

الأولون يبدون عنيفين وجريئين من أجل جر الجمهور إلى ما يريدونه دون الإكتراث للخاطر، ولكن إذا كانت قوة هؤلاء القادة جبارة فإنها تبقى آنية مؤقتة، فبعد أن يعودوا إلى حياتهم العادية نجدهم يبدون ضعفاً مدهشاً.

أما الفئة الثانية المتمثلة في القادة ذوي الإرادة الدائمة فإنهم يمارسون تأثيراً كبيراً، وسواء كانو أذكياءً أم حمقى، فذلك لا يهم، لأن العالم دائما سيكون لهم. فالإرادة التي يمتلكونها تمثل ملكة نادرة جدا.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص130.

_ المطلب الثاني / الوسائل التي يستخدمها القادة:

من أجل قيادة جمهور معين للحظة ما وحثه لإرتكاب عمل معين، فإنه يجب أن تؤثر عليه بوسائل سريعة وأكثرها قدرة على التأثير هو القدوة أو الهيبة الشخصية وعندما نريد أن تلج الأفكار والعقائد إلى العقل الجمعي للجماهير، فإننا نجد أن الأساليب المتبعة من القادة تختلف لكنهم يعتمدون في الأغلب على الأساليب التالية: التأكيد، التكرار وعدوى الإنفعالات، فما هي؟ وكيف يتم الاعتماد عليها في قيادة جمهور ما؟

1/ التكرار:

"إن التأكيد المجرد من كل محاجة عقلانية يشكل الوسيلة الموثوقة لإيلاج فكرة ما في عقل الجماهير وكلما كان التأكيد خاليا من كل برهان وقاطعاً كلما فرض نفسه بهيبة أكبر، فالكتب الدينية وقوانين العصور قد استخدمت أسلوب التوكيد المجرد في كل شيء ورجال الدول المدعوون للدفاع عن قضايا سياسية يعرفون قيمة التوكيد، وكذلك الأمر فيما يتعلق برجال الصناعة والتجارة الذين ينشرون سلعهم عن طريق الإعلانات"[1].

"إن التكرار والتوكيد عاملان قويان في تكوين الآراء والقناعات وانتشارها وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء والقادة كل يوم في خطبهم، ولا يحتاج التوكيد دليلاً عقلياً يدعمه إنما يقتضي أن يكون مختصراً حماسيا لديه وقع على النفس"[2].

ويمكن القول إن التكرار له تأثير قوي جداً على الجماهير بحيث يلج إلى عقولهم ويؤثر فيها، فعندما يتكرر شيء يصبح إيماناتهم ويشكل دافع أفعالهم ونجد أن الإعلانات تستخدم التكرار لتغيير مفاهيم الناس فمثلا عندما يُكرر لنا مرارًا أن نوع (ج) من الشوكولاته هو الأفضل، نبدأ قبوله ذلك وهكذا يؤثر التكرار في قراراتنا، كما أن التكرار يؤثر على تصوراتنا عن الأشخاص بحيث يستطيع الأن الإعلام أن يصور شخصًا ما بطريقة معينة تؤثر على تصورتنا عنه، وهنا لا بد من تنوع المصادر الإعلامية لتفادي التأثيرات السلبية للتكرار.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص133.
[2] المصدر نفسه، ص146.

2 / العدوى النفسية:

"العدوى النفسية هي أمر روحي ينشأ عليه التسليم ببعض الآراء تسليما غير إرادي فمصدرها دائرة اللاشعور ولذلك لا يؤثر فيها أي دليل، وتشاهد العدوى النفسية في البشر والحيوانات عندما يكونون في حالة جماعة ولها تأثير كبير بحيث تسيطر على التاريخ"[1].

"والعدوى لا تتطلب حضور الأفراد في نقطة واحدة، بل يمكن أن تنتشر من بعيد بتأثير من الأحداث التي توجه النفوس في نفس الإتجاه وتخلع عن الجمهور ميزاته، وبخاصة إذا كان مهيأ لذلك عن طريق العوامل البعيدة، ونضرب على ذلك مثال: الإنفجار الثوري الذي حصل في فرنسا والذي إنطلق من باريس وامتد لكي يشمل جزءاً كبيرا من أوروبا ويزعزع العديد من النظم الملكية"[2].

أ / أشكال العدوى النفسية:

"قد تكون مظاهر الحياة النفسية كلها سارية ولكن الانفعالات هي من تنتشر بالعدوى، وتستطيع الإرادة أن تحدد تأثيرها، غير أن ظهور إحدى العلل مثل تحول البيئة أيام الثورة إلى بيئة عنيفة، مبطلة لعمل الإرادة تجعل العدوى تنتشر بسهولة محولة ذوي الميولات السلمية إلى رجال محاربين، وأبناء الطبقة الوسطى إلى متعصبين، وأيضا بتأثير العدوى يغير هؤلاء أحزابهم لإخماد الثورة بنشاط كالذي أوقدوا به نيرانها"[3].

"ولا تسري العدوى بتماس الأفراد مباشرا بل قد تنتشر بالكتب والجرائد وحتى بالشائعات البسيطة، وكلما زادت وسائل النشر تداخلت العزائم وأثرت في بعض وعلى هذا الوجه نرتبط بمن يحيطون بنا أكثر من قبل، وتكتسب نفسية الفرد شكلا جامعًا"[4].

يشير لوبون إلى أن العواطف والأفكار والانفعالات والعقائد الإيمانية لها قوة عدوى مماثلة للجراثيم، هذه الظاهرة تلاحظ أيضًا في الحيوانات بتبادل فصيل حصان في اسطبل الحركات وينتقل الاضطراب بين الخراف في القطيع الواحد، فالإنفعالات المعديّة تفسر ظواهر مثل الهلع والخوف والاضطراب عصبي، حيث

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص153.
[2] المصدر نفسه، ص134.
[3] المصدر نفسه، ص153.
[4] المصدر نفسه، ص153.

ينتشر الجنون بالعدوى، كما يشير بعض أطباء النفس إلى انتقال أنواع الجنون من الإنسان إلى الحيوان بواسطة العدوى.

ب _ وسائل إنتشار العدوى الذهنية:

"في عصر لوبون وجدت وسائل متعددة لإنتشار الآراء والمعتقدات أبرزها العدوى الذهنية، حيث أشار إلى أن العدوى الذهنية لا تنتقل فقط عن طريق التواصل بين الأفراد بل يمكن أن تنتقل عبر الكتب والمراسلات، ومن خلال الشائعات فمع زيادة وسائل النشر تتداخل العقائد وتؤثر في بعض، ما يجعل الفرد يرتبط بالآخرين بشكل أكبر وتكتسب الفردانية أبعادا جماعية، ووصلت وسائل العدوى إلى ذروتها بفضل وسائل والنشر الإعلام مثل شبكات التواصل الاجتماعي التي تزيد من فرص التأثير على الأفراد، ويمكن للعدوى الذهنية أن تنتقل من ثقافة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى ، خاصة فيما يتعلق بالأفعال والتصرفات"[1].

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص156.

_ المطلب الثالث / الهيبة الشخصية:

"عندما يريد إي قائد أن يلج لأفكار وعقائد الجماهير عادة يتّبع عدّة أساليب اثبت التاريخ جدواها، منها أسلوب التكرار أو العدوى، أما السيطرة على جمهور غفير من الناس. فأن القائد يحتاج إلى محرضات سريعة للسيطرة واحتواء الوضع ولا أنفع من نموذج عظيم يمتلك سحراً يسمّى "الهيبة الشخصية"[1].

1 / مفهوم الهيبة الشخصية:

" إن الهيبة عبارة عن نوع من الجاذبية التي يمارسها فرد على روحنا أو يمارسها عمل أدبي أو عقيدة وهذه الجاذبية تشل كل ملكاتنا النقدية وتملأ روحنا بالدهشة وهذه العواطف لا يمكن تفسيرها، ولكن ربما كانت من نفس نوع التحريض الذي يصيب شخصاً ممغنطاً، إن الهيبة أساس كل هيمنة فالآلهة والملوك ما كان ممكناً أن تسيطر لولاها"[2].

2 / أنواع الهيبة الشخصية:

يمكن تصنيف الهيبة إلى نوعين رئيسيين:

الهيبة الاصطناعية المكتسبة تأتي عبر عناصر خارجية مثل (اسم العائلة) والثروة والشهرة.

أما الهيبة الشخصية فتعبر عن الصفات الفردية التي توجد أحيانًا مع والثروة والشهرة وقد تكون مستقلة عنها.

إن الهيبة الشخصية تختلف تمامًا عن الهيبة المكتسبة، فهي تشكل كيانًا مستقلاً عن الألقاب، ويقل عدد الذين يتمتعون بها فيمتلك هؤلاء سحرًا يؤثر على من حولهم بمن فيهم منافسوهم، إلى حد طاعتهم بشكل يشبه طاعة الحيوان المروض حتى إن كان بإمكانهم أن يقاوموا ذلك بسهولة.

---

[1] أحلام الفهمي: الهيبة الشخصية، al-jazirah.com، 08-10-2016، ت د: 16-02-2024

[2] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص137.

"أمـا الهيبـة المكتسـبة فنجـدها أكثـر انتشـاراً، فيكفـي أن يحتـل فـرد منصـباً أو يمتلـك نفـوذاً حتـى يصـبح مكلـلاً بهالـة مـن الهيبـة حتـى إن كانـت قيمتـه الأصـلية منعدمـة، فالبذلة العسكرية ولباس القضاة تضفي هيبة لأصحابها"[1].

[1] أحلام الفهمي: الهيبة الشخصية،al-jazirah.com، 08-10-2016، ت د : 11-03-2024

_ المبحث الثاني / فئات الجماهير

المطلب الأول / تصنيفات الجماهير عند لوبون

المطلب الثاني / الجماهير المدعوة بالمجرمة

لمطلب الثالث / الجماهير الإنتخابية

المبحث الثاني: فئات الجماهير:

المطلب 1: تصنيفات الجماهير عند لوبون:

يتجلى تصنيف الجماهير عند لوبون من خلال تفريقه بين مجموعتين، حيث تأتي الأولى في هذا التصنيف من النظرة السطحية إلى العدد وتتمثل في تنوع الأعراق والأجناس، والتي نجد تجسيدها في إرادة الزعماء الموحدين، ويمكن توضيح هذا بواسطة مثال البرابرة المتوحشين الذين يتبعون زعماءهم بلا تفكير وتظهر مجموعات أخرى اندمجت معًا تحت تأثير مختلف العوامل، تتميز بإكتساب صفات مشتركة ومؤسسة تقاليدًا مشتركة، مما أدى إلى تشكيل "أعارق" تتجلى فيها خصائص الجماهير.

1- جماهير غير متجانسة:

يعتبر لوبون في دراسته للجمهور أن الحشود البشرية بغض النظر عن تنوع المهن والذكاءات تتميز عن الفردية، حيث يكشف كتابه "سيكولوجية الجماهير" عن اختلافات نفسية بين الأفراد الذين ينضوون تحت لواء الجماعة وبين أنفسهم الفردية، وأن الذكاء الفردي لا يلعب دوراً بل يتعطل عندما ينضم الفرد إلى جماعة

ويؤكد لوبون أن العواطف اللاواعية تلعب دوراً مهماً في هذه الحالات إذ يقول: "أن نفسية الناس في الجمهور تختلف عن نفسيتهم الفردية، فوحدها العواطف اللاواعية تلعب دورا آنذاك"[1].

ويعتبر لوبون العرق عاملاً أساسي في تقسيم أنواع الجماهير غير المتجانسة، حيث يظهر أن التركيبات العرقية تؤثر بشكل كبير على خصائص الجمهور. وقد أظهر لوبون أن الكثرة من الأفراد التي تنتمي إلى عرق واحد مختلفة تماماً عن الكثرة التي تنتمي إلى أعراق مختلفة، فيقول: "الكثرة المؤلفة من أفراد ينتسبون إلى عرق واحد كالإنكليز تختلف عن الكثرة المؤلفة من أفراد من أعراق مختلفة: كالروس والعرب والفرنسيين والاسبان"[2].

ويبيّن لوبون أن الاختلافات في الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد ويفكرون بها تظهر عندما يجتمع أفراد من جنسيات مختلفة في الجماعة الواحدة، ويرجع هذا الاختلاف للتركيبة الذهنية الموروثة، وقد فشلت محاولات الاشتراكيين في توحيد الحركات العمالية في المؤتمرات الكبيرة، مما أدى إلى ظهور التناقضات بين الجماهير المختلفة، فيقول لوبون: "الجمهور اللاتيني أياً تكن درجة ثوريته سوف

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص158.
[2] المصدر نفسه، ص158.

يلجأ إلى الدولة من أجل تحقيق مطالبه، فهو دائما مؤيدي الاستبدادية القيصرية، وأما الجمهور الإنكليزي أو الأمريكي فعلى العكس لا يعترف بالدولة وإنما فقط بالمبادرة الخاصة وأما الجمهور الفرنسي فهو متعلق بفكرة المساواة، والجمهور الإنكليزي فيتعلق بالحرية وهذا الإختلاف العرقي يولد عدد جماهير مساويا لعدد الأمم تقريباً"[1].

وفيما عدا العرق يرى لوبون أن التصنيف الذي يجب الانتباه إليه بالنسبة للجماهير غير المتجانسة هو الفصل بين الجماهير المغفلة والغير مغفلة، حيث يتميز أفراد الجماهير المغفلة بعدم الشعور بالمسؤولية، بينما يتمتع الآخرون بمستوى من الوعي والتوجهات المختلفة تجاه أفعالهم.

2- جماهير متجانسة:

يشير لوبون إلى أن الطائفة تمثل المرحلة الأولى في الجماهير المتجانسة تتألف الطائفة من أفراد ينتمون إلى ثقافات ومهن وبيئات مختلفة في بعض الأحيان، ولا تربطهم سوى العقيدة والإيمان وتُعد الطوائف الدينية والسياسية أمثلة على ذلك.

من جهة أخرى، تُعد الزمرة أعلى درجات التنظيم التي يصل إليها الجمهور فعلى عكس الطائفة تتكون الزمرة من أفراد ينتمون إلى نفس المهنة وبالتالي يتشابهون في التربية والبيئة وتشكل الزمرة العسكرية مثالاً على ذلك.

أما الطبقة فتتألف من أفراد يأتون من أصول مختلفة، يتوحدون ليس من خلال العقائد المشتركة ولا من خلال الاهتمامات المهنية، بل من خلال بعض المصالح والعادات الحياتية المتشابهة. ومن الأمثلة على ذلك: الطبقة البورجوازية والطبقة الزراعية.

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق ص159.

المطلب الثاني: الجماهير المدعوة بالمجرمة

يشير لوبون إلى أن الجماهير ترتكب الجرائم، لكن هذا لا يجعلنا نصنفها على أنها مجرمة، بل يجب فهم الظروف التي تؤدي إلى حدوثها فيقول: " ما إن تسقط الجماهير بعد فترة الهيجان والحماسة في حالة الناس الآليين غير الواعين والمقودين من قبل التحريضات والمحرضات حتى يصبح صعباً علينا وصفها بالمجرمة في أي حالة من الأحوال"[1].

ويشبه لوبون هذه الجرائم بأعمال غير مجرمة تتحول إلى جرائم نتيجة للظروف والتحريضات المحيطة، وذلك في قوله: " إن جرائم الجماهير ناتجة عموماً عن تحريض ضخم، والأفراد الذين ساهموا فيها يقتنعون فيما بعد بأنهم قد أطاعوا واجبهم وهذه ليست أبداً حالة المجرم العادي"[2].

يستخدم لوبون مثالًا تاريخيًا لتوضيح فكرته، وهو حادثة قتل مدير سجن الباستيل ويبين هذا المثال كيفية تصاعد العنف ضد المدير حتى قررت الجماهير قتله، ويوضح لوبون كيف يمكن للأفراد في الجماهير أن يتأثروا بالعوامل الخارجية مما يدفعهم إلى تبني سلوكيات إجرامية فيقول: "بعد أن تم الاستيلاء على السجن، تعرض المدير للضرب والركل من كل الجهات من قبل الجماهير اقترح البعض شنقه، بينما طالب آخرون بقطع رأسه أو ربطه بذنب حصان وسحله في الشارع أثناء هذه الفوضى، ركل المدير رجلًا من الحضور عن غير قصد وعندئذٍ، اقترح أحدهم أن يقوم هذا الرجل الذي تعرض للركل بقطع رأس المدير بنفسه".

أ_ الخصائص العامة للجماهير المدعوة بالمجرمة:

"إن خصائص الجماهير المدعوة بالمجرمة هي نفس الخصائص التي لاحظناها لدى جميع أنواع الجماهير، وهذه الخصائص هي: قابلية التحريض، السذاجة أو سرعة التصديق والحركية والمبالغة في العواطف سواء أكانت طيبة أم سيئة، تبدي بعض أشكال الأخلاقية"[3].

[1] غوستاف لوبون: مصدر سابق، ص161.
[2] المصدر نفسه، ص161.
[3] "المصدر نفسه، ص162.

المطلب الثالث: الجماهير الإنتخابية:

إن الجماهير الانتخابية، المدعوة لاختيار المرشحين للمناصب الحكومية تمثل تشكيلات غير متجانسة، ونظرًا لأن تأثيرها يقتصر على اختيار شخص واحد من بين عدة مرشحين، فإن خصائصها تظهر وتشمل ضعف القدرة على التفكير ونقص النقد والسرعة في التصديق والتبسيط. وتؤثر في قراراتها أيضًا عوامل مثل توجيه القادة والتأثيرات المستمرة والهيبة الشخصية والعدوى...

أ_ كيف يمكن إغراء الجماهير الانتخابية؟

تعد عمليات إغراء الجماهير الانتخابية من الظواهر الشائعة ويتم فيها استخدام مجموعة من الأساليب للتأثير في الناخبين وجذب اهتمامهم نحو مرشح معين، ومن بين أساليب الإغراء العملية الديمقراطية نجد:

- الهيبة الشخصية: تعتبر من أبرز العوامل التي ينبغي أن يتحلى بها المرشح السياسي لكي يستطيع إغراء الجماهير فهي تعكس صورة قوية ومقنعة.

- المرشح الذي يستطيع أن يكتشف شعارات جديدة خالية من أي معنى دقيق أو محدد وبالتالي فقابلة للانطباق على الحالات الأكثر اختلافا وتلبية مختلف الآمال، فإنه يحقق نجاحا مؤكدًا.

- تملق المرشح وتكريس الاتهامات للمرشح المضاد.

- البرنامج المكتوب لا ينبغى أن يكون دقيقا للغاية، لأن خصومه ممكن أن يواجهوه به فيما بعد.

ب_ كيف يتشكل رأي الناخب؟

إن طريقة شكل رأي الناخب هي عملية معقدة تتأثر بعوامل متنوعة تشمل العوامل الشخصية والاجتماعية والاقتصادية، ويبدو أن الناخب قد يتجاهل التزام المرشح بوعوده ويميل إلى نسيانها، بالرغم من أن نتائج الانتخابات يمكن أن تكون تأثرت بهذه الوعود والبرامج الانتخابية، فحسب لوبون الناخب لا يهتم بمسألة تحقيق الوعد.

وفي الوقت نفسه، تبدو الآراء التي تشكل رأي الناخب مرهونة بتأثيرات خارجية بما فيها تأثيرات الجماعات والفئات ذات النفوذ، مثل اللجان الانتخابية التي تشكلها فئات محددة والذين يمتلكون قدرًا من النفوذ والقدرة على التأثير من خلال تقديم الدعم المالي خاصة.

وبنـاءً علـى ذلـك يمكـن القـول إن رأي النـاخبين يمكـن أن يتشـكل بسـهولة شـريطة أن يكـون المرشـح مقبـولًا لـدى الجمـاهير، وأن يتمتـع بمـوارد ماديـة كافيـة للتـأثير بفعاليـة وهـذه النفسـية الانتخابيـة تظهـر مشـابهة لنفسـيات الجماهيريـة الأخـرى حيـث تعتمـد بشـكل كبيـر علـى التـأثير الخـارجي دون أن تكـون بالضـرورة ناتجـة عـن تقيـيم عقلي مستقل وتحليل دقيق.

خاتمة

خاتمة:

يعالج علماء النفس الاجتماعيين الكثير من الموضوعات، منها: العلاقات بين الأفراد ضمن الجماعة، وتوزيع الأدوار بين أعضاء المجموعة، ومنح المهام للأشخاص المناسبين للمهمة، بالإضافة إلى آليّة اتخاذ القرار والزعامة وما يترتب عليها. دراسة السلوكيات السوية والشاذة للجماعة ككل، أو الأفراد ضمن جماعة معيّنة، تحليل آراء وميول الرأي العام، والدراية بالعوامل المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً، بالإضافة إلى فهم الطبيعة البشريّة وكيفيّة تأثُّرها وتأثيرها بالجماعة

وفي أثناء دراسة المنظر غوستاف لوبون لمسائل علم النفس هذه اصطدم بظاهرة الجماهير وخصوصاً الجماهير المتمثلة بالحركات الشعبية والإرهاب. وكان الباحثون الإيطاليون قد كتبوا عن هذه الظاهرة، واعتبروا هجوم الجماهير بمثابة عودة أوروبا الحضارية إلى مرحلة الهمجية. وكان ذكاء لويون يكمن في أنه عرف كيف يتناوله الموضوع من وجهة نظر أخرى غير السائدة ويبني نظرية متكاملة، فقد ابتدأ لوبون بتشخيص أوضاع الديمقراطية البرلمانية التي نتجت عن الثورة الفرنسية، وحلت محل النظام الملكي القديم، ولم يقل بأن الحل يكمن في العودة إلى الماضي ولا في الإشتراكية، بل في إصلاح النظام البرلماني بشكل يناسب الأوضاع المستجدة. ورأى أن العلة في هذا النظام تكمن في نقص التصميم والإرادة فقوة الحاكم تؤدي إلى استقرار النظام، وانعدام القوة يؤدي إلى الفوضى والاختلال.

صحيح أن لوبون يشعر نحو الجماهير بالاحتقار. ولكنها أصبحت حقيقة واقعة، وككل عالم وضعي لا يمكن أن يحتقر الوقائع القائمة، وإنما ينبغي عليه أن يدرسها ويأخذها بعين الإعتبار وهكذا يبتدئ لوبون بدراسة موضوع الجماهير بطريقة علمية، وهو الذي يجد منهجيته التحليلية أو التشخيصية في علم النفس.

وتتمثل أهم أفكار غوستاف لوبون في أنه يعلمنا أن انصهار أفراد الجمهور في روح واحدة وعاطفة مشتركة يقضي على التمايزات الشخصية وتخفض من مستوى الملكات العقلية، فبمجرد أن ينضوي الفرد داخل الجمهور فإنه ينزل درجات عديدة في سلم الحضارة. فهو عندما يكون معزولا ربما يكون إنسانا مثقفا متعقلا، ولكنه ما إن ينضم إلى الجمهور حتى يصبح منساقا بغريزته وبالتالي همجيا. وهو عندئذ يتصف بعفوية الكائنات البدائية وعنفها وضراوتها، إن هناك روحا للجماهير، مكونة من الانفعالات البدائية، مكرسة بواسطة العقائد الإيمانية، وهي بعيدة عن التفكير العقلاني والمنطقي، وكما أن روح الفرد، تخضع لمحرضات التنويم المغناطيسي، فإن روح الجماهير مثلها تخضع لتحريضات أحد المحركين أو الزعماء الذي يعرف كيف يروضها ويفرض إرادته عليها. ويقصد

لوبون أن الآثار التي تطرأ على الفرد بعدما ينضم إلى الجمهور تشبه تلك التي يعيشها الفرد خلال التنويم المغناطيسي، وفي مثل هذه الحالة من الذعر الإرتعاد، فإن كل شخص منخرط في الحشد يبتدئ بتنفيذ أعمال إستثنائية ما كان مستعداً لتنفيذها لو كان في حالته الفردية الواعية ، فالقائد عند إستخدام الصور والشعارات البهيجة بدلاً من الأفكار المنطقية يمتلك روح الجماهير ويسيطر عليها، فيستغل سرعة انفعالها حيث تفقد الجماعة إرادتها وتعجز عن التفكير، وتصبح ألعوبة بيد المحرضات، فتراها تنقاد بسهولة، وتتقلب بغتة من الفوضى والتوحش إلى التنظيم أو البطولة حسب المحرض الذي يلقنها.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

مصادر باللغة العربية:

1-غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، تر: هاشم صالح، دار الساقي، ط1، بيروت، 1991.

مراجع باللغة العربية:

1-أحمد محمد الزبعي: أسس علم النفس الإجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013
2-الجبالي حسني: علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003
3-حفيظ اسليماني: الجماهير وقانون وحدتها الفكرية النفسية وعواطفها وأخلاقها، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 24، المجلد6، جوان 2022
4-سليمان عبد الواحد إبراهيم: علم النفس الاجتماعي ومتطلبات الحياة المعاصرة، الوراق للنشر والتوزيع، ط 1, عمان، 2014
5-فايز بن علي شهري: غوستاف لوبون، المركز الثقافي للكتاب للنشروالتوزيع، المغرب، 2019
6-فؤاد البهى السيد، سعد عبد الرحمان: علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، مدينة النصر القاهرة، 1999
7-ليلى خليل داود، أحمد عبد العزيز الأصفر: الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، سورية، 2004
8-مأمون طربيه: السلوك الاجتماعي في الجماعات غير المنظمة، دار النهضة العربية، بيروت، 2014
9-مصطفى صالح الأزرق: علم النفس الاجتماعي: اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2013
10-معتز السيد عبد الله، عبد اللطيف خليفة: علم النفس الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ،2001

مجلات باللغة العربية:

1-محند شريف منصر، فلسفة غوستاف لوبون السياسية والتاريخية وأبعادها السيكولوجية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد1، المجلد 13، قسم الأدب والفلسفة،2021.

مقالات إلكترونية:

1-أحلام الفهمي: الهيبة الشخصية،08-10-2016، al-jazirah.com.
2-سهى ديوب: تميل إلى التطرف وسهلة الانقياد: أهم أفكار غوستاف لوبون عن سيكولوجية الجماهير، 07-05-2023، نفسيتي (nafseyati.com).
3-مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي: "مراجعة لكتاب سيكولوجيا الجماهير"، 15-10-2019، mena-monitor.org.
4-ياسمين عدنان أبو سالم: تعريف علم النفس الاجتماعي، 05-10-2021، تعريف علم النفس الاجتماعي – موضوع. (mawdoo3.com).

معاجم وموسوعات:

1-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت ،1982.

الملخص

الملخص:

ممـــا لا شـــك فيـــه أن دراســـة ســـيكولوجية الجمـــاهير مـــن المواضـــيع الجـــد صـــعبة والمعقـــدة، لـــذلك حاولنـــا التطـــرق للموضـــوع انطلاقـــا مـــن رؤيـــة الفرنســـي لوبـــون الـــذي أبـــدع فـــي تنـــاول مســـألة الجمـــاهير وذلـــك فـــي كتابـــه ســـيكولوجية الجمـــاهير الـــذي يعـــد مـــن أشـــهر مـــا ألـــف وذلـــك بـــاعتراف المختصـــين، وبـــه تبـــوأ غوســـتاف لوبـــون مكانـــة رفيعـــة فـــي علـــم الـــنفس الإجتمـــاعي علـــى وجـــه الخصـــوص. وقـــد توقفنـــا فـــي هـــذا العمـــل بدايـــة عنـــد تفســـير لوبـــون لظـــاهرة الجمـــاهير وذكرنـــا الخصـــائص التـــي تتميـــز بهـــا الجمـــاهير كوحـــدة الـــروح وغيـــاب الـــوعي الفـــردي وحضـــور العقـــل الجمعـــي وتلاشـــي الشخصـــية الذاتيـــة، وكـــذلك ميزاتهـــا العاطفيـــة والأخلاقيـــة كالســـذاجة والاســـتبدادية والقـــوة، مـــرورا بأصـــناف الحشـــود الفـــروق بينهـــا وصولا إلى محركوا الجماهير وأساليبهم في ترويض الشعوب.

الكلمات المفتاحية:

الجماهير، سيكولوجية، علم النفس الإجتماعي، غياب الوعي، وحدة الروح، محركوا الجماهير.

Abstract:

Undoubtedly, the study of crowd psychology is a highly challenging and complex topic. Therefore, we approached the subject through the perspective of the French scholar Gustave Le Bon, who made significant contributions to understanding crowds in his famous work "The Crowd: A Study of the Popular Mind." This book is widely recognized by experts and has earned Le Bon a prominent place in social psychology, particularly in the realm of crowd psychology. In this work, we initially focused on Le Bon's interpretation of the crowd phenomenon, highlighting the characteristics of crowds such as the unity of spirit, the absence of individual consciousness, the presence of collective mind, and the dissolution of personal identity. We also discussed their emotional and moral traits such as naivety, authoritarianism, and strength, as well as the different types of crowds and their distinctions. Finally, we examined the crowd leaders and their methods of manipulating the masses.

Keywords:

crowds, psychology, social psychology, absence of consciousness, unity of spirit, crowd leaders.